


# ذم الدنيا

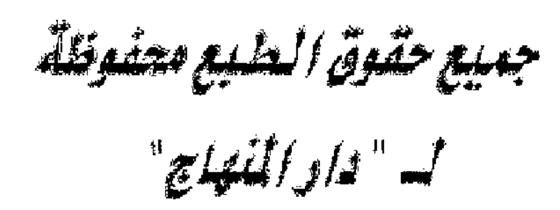
تأليف

سمير بن أمين الزهيري

دار المنهاج


رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


ذم الدنيا





١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيداع: ٢٠٢٠٢ / ٢٠٠٣م





٨١ شارع الهدي المحمدي - متفرع من أحمد عرابي - مساكن عين شمس - القاهرة

جمهورية مصر العربية محمول: ٠١٢٢٩٥٢٢١٧

E-Mail:DarAlmenhaj@HotMail.Com




تأليف

سمير بن أمين الزهيري




بسم الله الرحمن الرحيم

# صورة من الإذن الخطي بطبع الكتاب للشيخ سمير الزهيري

بسم الله الرحمن الرحيم

قد أذنت لأخينا الحبيب مصطفى المرشدي صاحب دار المنهاج بطبع كتابي «ذم الدنيا»، وهذا الإذن لطبعة واحدة فقط.

وفقني الله والجميع لما يحب ويرضى

كتبه
سمير بن أمين الزهيري
الرياض في ٢٠/١١/١٤٢٦هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٦) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾ [ الكهف : ٤٥ - ٤٦ ].



# مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

**أما بعد: «فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي مُحمَّد ﷺ، وشر الأمور محدثاتُها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».**

**وبعد:** فهذه رسالة لطيفة، جمعتها من كتاب الله ﷻ، ومن صحيح السنة في بيان أمر الدنيا والتحذير منها جمعتها لنفسي أولاً ولمن شاء الله ﷻ من المسلمين، راجيًا الثواب من المولى ﷻ.

وقد كان الباعث على تصنيف هذه الرسالة انصراف أكثر الناس إلى الدنيا، وعزوفهم عن الآخرة، حَتَّى تجاوزوا فِي ذلك نصيبهم **﴿وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾** [القصص:٧٧]. مِمَّا أباح الله لهم فِي هذه الدنيا من الطيبات.

واعلم أخي المسلم -رحمنا الله وإياك- أن النَّبِي ﷺ قد قال: **«إنَّما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلمًا فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعمل لله فيه حقًّا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله تعالى علمًا ولَم يرزقه مالاً فهو صادق النية، يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان. فهو بنيته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً، ولَم يرزقه علمًا، يخبط فِي ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعمل لله فيه حقًّا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لَم يرزقه الله مالاً ولا**

**علمًا، فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان. فهو بنيته، فوزرهما سواء»** رواه أحمد.

فاحرص يا عبد الله -وفقني الله وإياك- على ما يصلح دنياك، ولا يضر آخرتك.

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن لا يجعل لأحد فيه شيئًا، وأن يدخر لي ثوابه إلى يوم لقائه، إنه سميع مجيب.

**المؤلف**

سمير بن أحمد الزهيري






## من يريد الدنيا بعمله

إن المسلم مأمور بإصلاح نيته فِي جَميع أعماله، وجعلها خالصة لوجه الله ﷻ، فلا تصح الأعمال إلا النيات، فقد قال النَّبِي ﷺ: «**إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**». رواه البخاري.

وكذلك يشترط لقبول العمل صلاحه، أي: أن يكون على هدي النَّبِي ﷺ، قال الله ﷻ: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف:١١٠].

ولا شك أن المسلم إن أراد النجاة والفوز بالآخرة فعليه أن يجعل عمله خالصًا لوجه الله، وأن يجعل نيته طلب الآخرة، ويعزف عن طلب الدنيا؛ لأنه إن أراد غير ذلك فسيتمتع فِي هذه الدنيا الفانية، ويخسر آخرته الباقية، فقد قال الله ﷻ: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا**

**نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾** [الشورى:٢٠].

وقال تعالى: **﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ﴾** [هود: ١٥-١٦].

**قال مجاهد في تفسيرها:** هم أهل الرياء، أهل الرياء.

وليعلم العبد المسلم أنه إن جعل همه همًّا واحدًا، وهو هم الآخرة وفقه الله ﷻ، وجاءته الدنيا وهي راغمة، وأما إن جعل همه الدنيا شتت الله ﷻ أمره، ولَم يؤته من الدنيا إلا ما كتب له.

وفي ذلك يقول الرسول الكريم ﷺ: **«من كانت نيته طلب الآخرة، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه، وشتت عليه أمره، ولا يأتيه منها إلا ما كتب له».**

وعن شُفَيٍّ بن ماتع الأصبحي قال: "قدمت المدينة فدخلت المسجد، فإذا الناس قد اجتمعوا على رجل.

فقلت: من هذا؟

فقالوا: أبو هريرة. فلما تفرق الناس دنوت منه.

فقلت: يا أبا هريرة، حدثني حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ، ليس بينك وبينه فيه أحد من الناس.

فقال: أفعل، لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول الله، ليس بيني وبينه أحد من الناس، ثُمَّ نشغ نشغة، فأفاق، فهو يقول: أفعل. لأحدثنك حديثًا، حدثنيه رسول الله، ليس بينه وبيني أحد من الناس، ثُمَّ نشغ الثانية، فأفاق، وهو يقول: لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول الله، ليس بيني وبينه فيه أحد من الناس، ثُمَّ نشغ الثالثة، أو الرابعة، ثُمَّ أفاق، وهو يقول: أفعل، لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول الله في هذا البيت، ليس معي فيه غيره، سمعت رسول الله ﷺ يقول:

**«إذا كان يوم القيامة، ينْزل الله إلى عباده ليقضي بينهم، فكل أمة جاثية، فأول من يدعى رجل جمع القرآن، فيقول الله تعالى له: عبدي، ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ فيقول: بلى، يا رب. فيقول: ماذا عملت فيما علمتك؟ فيقول: يا رب، كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار. فيقول الله له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت، بل أردت أن يقال: فلان قارئ، فقد قيل ذاك، اذهب فليس لك اليوم عندنا شيء. ثُمَّ يؤتى**

بصاحب المال، فيقول الله له: عبدي، ألَم أنعم عليك؟ ألَم أفضل عليك؟ ألَم أوسع عليك؟ أو نحوه. فيقول: بلى يا رب. فيقول: ماذا عملت فيما آتيتك؟ فيقول: يا رب، كنت أصل الرحم، وأتصدق، وأفعل، وأفعل. فيقول الله: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت، بل أردت أن يقال: فلان جواد، فقد قيل ذاك، اذهب فليس لك اليوم عندنا شيء. ويدعى المقتول، فيقول الله له: عبدي فيم قتلت؟ فيقول: يا رب، فيك، وفي سبيلك. فيقول الله تعالى: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت، بل أردت أن يقال: فلان جريء، فقد قيل ذاك، اذهب فليس لك اليوم عندنا شيء. قال أبو هريرة: ثُمَّ ضرب رسول الله يده على ركبتي ثُمَّ قال: يا أبا هريرة! أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بِهم النار يوم القيامة».

قال حيوة -أو أبو عثمان-: فأخبرني العلاء بن حكيم وكان سيافًا لمعاوية، أنه دخل عليه رجل -يعنِي: على معاوية- فحدثه بِهذا الحديث عن أبي هريرة.

قال الوليد: فأخبرني عقبة أن شُفَيًّا هو الذي دخل على معاوية، فحدثه بِهذا الحديث. قال: فبكى معاوية، فاشتد بكاؤه ثُمَّ أفاق، وهو يقول: صدق الله ورسوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ

**إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ ﴿١٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [هود: ١٦-١٧]. رواه مسلم وغيره، واللفظ لابن المبارك في الزهد.

والحديث لا يحتاج إلى تعليق فهؤلاء فعلوا أفعالاً، قد حث عليها الإسلام، ولكن لما كان همهم بهذه الأعمال الدنيا، وليس الآخرة، بطل ما كانوا يعملون.

وكذلك قال النَّبي ﷺ: «**بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة، والنصر، والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا، لم يكن له في الآخرة من نصيب**».

فاحرص أخي المسلم -وفقني الله وإياك لكل خير- على أن تكون أعمالك خالصة لوجه الله ﷻ، وأن تكون همتك الآخرة، والحذر الحذر أن تقع فيما يبطل عملك من شرك، أو رياء، أو غير ذلك، واطلب العون والتوفيق دائمًا من المولى ﷻ.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊



## الدنيا سجن المؤمن

قال الله ﷻ : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤].

**قال البغوي:** أي فِي ضيق وشدة، فالإنسان فِي بطن أمه فِي ضيق، ثُمَّ يكابد ما يكابده من أمر دنياه وآخرته، ثم الموت إلى أن يستقر فِي جنةٍ أو نار.

وروى مسلم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :«**الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر**».

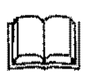
**ومعناه:** أن كل مؤمن مسجون، ممنوع فِي الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة، مكلف بفعل الطاعات الشاقة، فإذا مات استراح من هذا، وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من النعيم الدائم، والراحة الخالصة من المنغصات، وأما الكافر فإنَّما له من ذلك ما حصل فِي الدنيا مع قلته، وتكديره بالمنغصات، فإذا مات صار إلى العذاب الدائم، وشقاء الأبد.

وروى الإمام مالك فِي "الموطأ" ومن طريقه البخاري ومسلم، عن أبي قتادة قال: مرت جنازة على رسول الله ﷺ فقال: «**مستريح، ومستراح منه**.

قالوا: يا رسول الله، ما المستريح والمستراح منه؟.

قال: **العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله** ﷻ ، **والعبد الفاجر يستريح منه العباد، والبلاد، والشجر، والدواب**».





## انظر إلى من هو أسفل منك

روى البخاري ومسلم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه فِي المال والخلق، فلينظر إلى من هو أسفل منه مِمَّن فضل عليه**».

وفِي رواية: «**إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه فِي المال والجسم، فلينظر إلى من دونه فِي المال والجسم**».

وفِي رواية: «**انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم**».

**وفي معنَى الحديث قيل**: هذا الحديث جامع لمعاني الخير؛ لأن المرء لا يكون بحال تتعلق بالدين من عبادة ربه، مجتهدًا فيها، إلا وجد من هو فوقه، فمتى طلبت نفسه اللحاق به، استقصر حاله، فيكون أبدًا فِي زيادة تقربه من ربه، ولا يكون على حال خسيسة من الدنيا إلا وجد من أهلها من هو أخس حالاً منه، فإذا تفكر فِي ذلك، علم أن نعمة الله وصلت إليه دون كثير مِمَّن فضل عليه بذلك من غير أمر أوجبه،

فيلزم نفسه الشكر.

وفي **الحديث أيضًا**: دواء الداء؛ لأن الشخص إذا نظر إلى من هو فوقه لَم يأمن أن يؤثر ذلك فيه حسدًا، ودواؤه أن ينظر إلى من هو أسفل منه، ليكون ذلك داعيًا إلى الشكر.

**قال عون بن عبد الله**: صحبت الأغنياء فلم أر أحدًا أكبر همًّا مني، أرى دابة خيرًا من دابتي، وثوبًا خيرًا من ثوبي، وصحبت الفقراء فاسترحت.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

## ما يتقى من فتنــة المــال

إن المال من نعم الله ﷻ ، فينبغي أن يأخذه المسلم بحقه، ويضعه في حقه؛ فإنه لن تزول قدم العبد يوم القيامة، حَتَّى يسأل عن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه؟ ولما كان للمال فتنة عظيمة، فقد حذرنا من هذه الفتنة الله ﷻ والرسول ﷺ.

فقال ربنا ﷻ : ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن:١٥].

ويراعى تقديْم الأموال على الأولاد، لعظم الفتنة بالأموال، وللفساد العظيم المترتب على فتنة المال، من منع حقوق الله ﷻ فيه، ومنع حقوق العباد، واكتسابه بغير الطرق الشرعية.

وليت المرء يعلم أن المال لا يغني عنه من الله شيئًا، قال تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [الليل:١١]. أي: إذا مات.

ومع هذا فالإنسان شديد الحب للمال، كما قال ﷻ : ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات:٨].

بل حريص على جمعه، وجعله عدة للدهر، كما قال ربنا ﷻ: ﴿جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾ [الهمزة: ٢].

وهو مع هذا الجمع حريص عليه، شحيح به: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج:١٩]. وهو الذي يجزع ويفزع من الشر، ولا يصبر على المصائب، الحريص الشحيح على المال.

ولا بأس بحب المال، وخاصة أن الله ﷻ قد زينه لنا، ولكن بشرط أن يراعى في هذا المال حقوقه ﷻ، وليعلم المرء أن المال هذا ليس ملكًا له، وإنَّما هو مُستخلف فيه.

قال ﷻ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران:١٤].

وعندما سمع عمر بن الخطاب ﷺ هذه الآية الكريْمة قال: «اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا، اللهم إني أسألك أن أُنفقه في حقه». رواه البخاري.

فالمال فتنة، وفتنة عظيمة، والمعصوم من عصمه الله –وقليل ما



هم- بل كثير من الناس كالخادم للمال، بل كعبده.

ولذلك جاء الذم من النَّبي ﷺ بقوله: «**تعس عبد الدينار، والدرهم، والقطيفة، والخميصة، إن أُعطي رضي، وإن لَم يُعط لَم يرض**». رواه البخاري.

ففي الحديث ما يدل على انغماس عبد الدينار فِي محبة الدنيا وشهواتِها، فهو كالأسير الذي لا يَجد خلاصًا، وعبر بقوله: «**عبد الدينار**». ولَم يقل: مالك الدينار. أو غير ذلك؛ لأن الملك فِي حد ذاته ليس مذمومًا، وإنَّما المذموم هو شدة الحرص، ومن شدة الحرص والحب يصير الإنسان عبدًا لمن أحب، ولا ينبغي للمسلم أن يكون عبدًا لغير الله ﷻ: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ [الفاتحة:٥].

وفي حديث آخر أخرجه البخاري، قال ﷺ: «**تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لَم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش...**» الحديث.

ولذلك جاءت توجيهات النَّبي ﷺ فِي أمر المال توجيهات حكيمة، ومنها:

**١- أن لا يأخذه الإنسان بإشراف نفس.**

روى البخاري عن حكيم بن حزام قال: سألت النَّبِي ﷺ، فأعطاني، ثُمَّ سألته، فأعطاني، ثُمَّ سألته، فأعطاني، ثُمَّ قال: «**يا حكيم، إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لَم يُبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى**».

**٢- أن يأخذه المرء بحقه، ويضعه فِي حقه.**

روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض**. قال: **زهرة الدنيا**. فقال له رجل: ما يأتي الخير بالشر؟ فصمت النَّبِي ﷺ حَتَّى ظننا أنه يُنْزل عليه، ثُمَّ جعل يمسح عن جبينه، قال: **أين السائل؟** قال: أنا. قال أبو سعيد: لقد حمدناه حين طلع لذلك. قال: **لا يأتي الخير إلا بالخير، إن هذا المال خضرة حلوة، وإن كل ما أنبت الربيع يقتل حبطًا أو يلم، ألا إن آكلة الخضرة، تأكل حَتَّى إذا اشتدت خاصرتاها، استقبلت الشمس، فاجترت، وثلطت، وبالت، ثُمَّ عادت فأكلت، وإن هذا المال حلوة، من أخذه بحقه، ووضعه فِي حقه، فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه، كان كالذي يأكل ولا يشبع**».

قوله: «**خضرة**». فالخضرة: الغضة الحسنة، يريد أن صورة الدنيا ومتاعها حسنة المنظر، تعجب الناظر، وكل شيء غض طري، فهو خضرة، وأصله من خضرة الشجر، ومنه قيل للرجل إذا مات شابًّا غضًّا: قد اختضر. ويقال: خُذ هذا الشيء خضرًا مضرًا، فالخضر: الحسن الغض، والمضر: إتباع، ويقال: خذه بلا ثمن، وقوله ﷻ: ﴿**فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا**﴾ [الأنعام:٩٩]. أي: ورقًا أخضر، يقال: أخضر خضر، كما يقال: أعور عور، وكل شيء ناعم، فهو خضر.

وقوله: «**يقتل حبطًا**». قال الأصمعي: الحبط: هو أن تأكل الدابة، فتكثر حَتَّى تنتفخ لذلك بطنها وتمرض، يقال منه: حبطت تحبط حبطًا، قال أبو عبيد: قوله: «**أو يُلِم**». يعنِي: يقرب من ذلك.

**قال الأزهري**: فيه مثلان ضرب أحدهما للمفرط فِي جمع الدنيا، ومنعها من حقها، وضرب الآخر للمقتصد فِي أخذها، والانتفاع بِها.

فأما قوله: «**وإن مِمَّا ينبت الربيع ما يقتل حبطًا**». فهو مثل للمفرط الذي يأخذها بغير حق، وذلك أن الربيع ينبت أحرار العشب، فتستكثر منها الماشية، حَتَّى تنتفخ بطونُها، لما قد جاوزت حد الاحتمال، فينشق أمعاؤها فتهلك، كذلك الذي يجمع الدنيا من غير

حلها، ويمنع ذا الحق حقه، يهلك فِي الآخرة بدخول النار.

وأما مثل المقتصد فقوله ﷺ: «**ألا إن آكلة الخضرة**». وذلك أن الخضر ليست من أحرار البقول الَّتِي ينبتها الربيع، فتستكثر منها الماشية، ولكنها من كلأ الصيف الَّتِي ترعاها المواشي بعد هيج البقول شيئًا فشيئًا من غير استكثار، فضرب مثلاً لمن يقتصد فِي أخذ الدنيا، ولا يحمله الحرص على أخذها بغير حقها، فهو ينجو من وبالها.

وقوله: «**استقبلت الشمس فاجترت، وثلطت**». أراد أنَّها إذا شبعت بركت مستقبلة الشمس، تجتر وتستمرئ بذلك ما أكلت، فإذا ثلطت زال عنها الحبط، وإنَّما تحبط الماشية إذا كانت لا تثلط، ولا تبول.

**قال الخطابي**: وجعل ما يكون من ثلطها وبولها مثلاً لإخراج ما يكسبه من المال فِي الحقوق.

وفيه الحض على الاقتصاد فِي المال، والحث على الصدقة، وترك الإمساك للادخار. انتهى من كلام البغوي.

**٣- أن الذين يَملكون هذا المال، ولا يُنفقون منه، هم المقلون.**

روى البخاري، عن أبي ذر ﷺ قال: «خرجت ليلة من الليالي،

فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده، وليس معه إنسان، قال: فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد، قال: فجعلت أمشي فِي ظل القمر، فالتفت، فرآني.

فقال: **من هذا؟**

قلت: أبو ذر، جعلني الله فداءك.

قال: **يا أبا ذر تعال.**

قال: فمشيت معه ساعة.

فقال لي: **إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة، إلا من أعطاه الله خيرًا، فنفح فيه يمينه وشماله، وبين يديه ووراءه، وعمل فيه خيرًا...»** الحديث.

**قال الحافظ بن حجر:** "والمراد: الإكثار من المال، والإقلال من ثواب الآخرة، وهذا فِي حق من كان مكثرًا، ولَم يتصف بِما دل عليه الاستثناء بعده من الإنفاق".

وكذلك قال ﷺ فيما رواه البخاري عن أبي ذر أيضًا، قال: **«ما يسرني أن عندي مثل أحد ذهبًا، تمضي عليَّ ثالثة وعندي منه دينار،**

**إلا شيئًا أرصده لدين، إلا أن أقول به فِي عباد الله هكذا، وهكذا، وهكذا، عن يمينه، وعن شماله، ومن خلفه، ثُمَّ قال: إن الأكثرين هم المقلون يوم القيامة؛ إلا من قال: هكذا، وهكذا، وهكذا عن يمينه، وعن شماله، ومن خلفه، وقليل ما هم...»** الحديث.

**قال الحافظ:** "يؤخذ منه أن نفي محبة المال مقيدة بعدم الإنفاق، فليزم محبة وجوده مع الإنفاق، فما دام الإنفاق مستمرًّا، لا يُكره وجود المال، وإذا انتفى وجود المال ثبتت كراهية وجود المال، ولا يلزم من ذلك كراهية حصول شيء آخر، ولو كان قدر أحد أو أكثر مع استمرار الإنفاق.

**٤- أن ما قدم المرء من ماله فهو له.**

روى البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: قال النَّبِي ﷺ: **«أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟**

قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه.

قال: **فإن ماله ما قدم، ومال وارثه ما أخره»**.

ففي هذا الحديث التحريض على تقديْم ما يُمكن تقديْمه من

المال، فِي وجوه القربة والبر، لينتفع به فِي الآخرة، فإن كل شيء يخلفه المورث يصير ملكًا للوارث، فإن عمل فيه بطاعة الله، اختص بثواب ذلك، وكان ذلك الذي تعب فِي جمعه ومنعه، وإن عمل فيه بمعصية الله، فذاك أبعد لمالكه الأول من الانتفاع به، إن سلم من تبعته، قاله ابن بطال.

وكذلك روى مسلم، عن عبد الله بن الشخير قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية: ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ**﴾ [التكاثر:١]. قال: «**يقول ابن آدم: مالي، مالي، وهل لك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت**».

**٥- أن المال لا يدخل مع صاحبه قبره، وإنَّما الذي يدخل معه عمله.**

روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**يتبع الميت ثلاثة: فيرجع اثنان، ويبقى معه واحد، يتبعه أهله، وماله، وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله**».

## فضل الفقر والفقراء

روى البخاري عن خباب قال: «هاجرنا مع النَّبِي ﷺ نريد وجه الله، فوقع أجرنا على الله تعالى، فمنا من مضى لَم يأخذ من أجره شيئًا، منهم مصعب بن عمير، قتل يوم أحد، وترك نمرة، فإذا غطينا رأسه، بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه، فأمرنا النَّبِي ﷺ أن نغطي رأسه، ونجعل على رجليه من الإذخر، ومنا من أينعت له ثمرته، فهو يهد بِها».

وقد كان مصعب بن عمير يا إخواني فِي ثروة، ونعمة، ومن أهل النعيم وهو بِمكة، فلما هاجر صار فِي قلة وفقر.

**قال علي بن أبي طالب:** «بينما نحن فِي المسجد، إذ دخل علينا مصعب بن عمير وما عليه إلا بردة له مرقوعة بفروة، فبكى رسول الله ﷺ لما رآه؛ للذي كان فيه من النعيم، والذي هو فيه اليوم!».

وروى أحمد عن محمود بن لبيد أن النَّبِي ﷺ قال: «**إن الله ليحمي عبده الدنيا، وهو يحبه كما تحمون مرضاكم الطعام والشراب**

**تخافون عليه**».

وروى أحمد عن محمود بن لبيد أيضًا أن النَّبِي ﷺ قال: «**اثنتان يكرههما ابن آدم: يكره الموت، والموت خير للمؤمن من الفتنة، ويكره قلة المال، وقلة المال أقل للحساب**».

روى البخاري عن سهل بن سعد قال: «مر رجل على رسول الله ﷺ.

فقال لرجل عنده جالس: **ما رأيك فِي هذا؟**

فقال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حري إن خطب أن يُنكح، وإن شفع أن يُشفَّع.

قال: فسكت رسول الله ﷺ، ثُمَّ مر رجل، فقال له رسول الله ﷺ: **ما رأيك فِي هذا؟**.

فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب أن لا يُنكح، وإن شفع أن لا يُشفع، وإن قال أن لا يُسمع لقوله.

فقال رسول الله ﷺ: **هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا**».

وفي الحديث كما قال الحافظ بن حجر: "أن السيادة بمجرد الدنيا لا أثر لَها، وإنَّما الاعتبار فِي ذلك بالآخرة كما تقدم أن العيش عيش الآخرة، وأن الذي يفوته الحظ من الدنيا يُعاض عنه بحسنة الآخرة، ففيه فضيلة للفقر".

وروى البخاري أيضًا عن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النَّبِي ﷺ قال: «**اطلعت فِي الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت فِي النار فرأيت أكثر أهلها النساء**».

وروى البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ قال: «**قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء**».

**قال ابن حجر**: "ظاهر الحديث التحريض على ترك التوسع من الدنيا".

وروى البخاري عن مصعب بن سعد قال: رأى سعد أن له فضلاً على من دونه، فقال النَّبِي ﷺ: «**هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم**».

وروى أبو داود عن أبي الدرداء عن النَّبِي ﷺ قال: «**ابغوني فِي ضعفائكم، فإنَّما تُرزقون، أو تنصرون بضعفائكم**».

وروى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**رب أشعث مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره**».

وذُكر فقراء المؤمنين عند الحسن، فقال له رجل: يا أبا سعيد، ترجو أن أكون منهم؟

قال: تجمع بين غداء وعشاء؟

قال: نعم.

قال: لست منهم.

وروى الترمذي عن أبي هريرة أن النَّبِي ﷺ قال: «**يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وهو خمسمائة عام**».

وروى أحمد عن ابن عباس -بإسناد قال عنه المنذري: جيد قوي- قال: قال النَّبِي ﷺ: «**التقى مؤمنان على باب الجنة: مؤمن غني، ومؤمن فقير كانا فِي الدنيا، فأُدخل الفقير الجنة، وحُبس الغني ما شاء الله أن يحبس، ثُمَّ أُدخل الجنة، فلقيه الفقير. فيقول: أي أخي، ماذا حبسك؟**

والله لقد احتبست حَتَّى خفت عليك.

فيقول: أي أخي، إني حبست بعدك محبسًا فظيعًا كريهًا، وما وصلت إليه حَتَّى سال مني من العرق ما لو ورده ألف بعير كلها آكلة حَمْض[١] لصدرت عنه رواءً».

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) بفتح الحاء وسكون الميم: هو نبات فيه ملوحة.



## الغنى غنى النفس أو القناعة من الدنيا بالقليل

لما كانت هذه الدنيا ممر ومعبر إلى الآخرة وجب التزود منها بالقدر الذي يصل به الإنسان إلى الآخرة.

ولذلك وجب على المرء أن يقنع بِما آتاه الله ﷻ، وليعلم أن الغنى إنَّما هو غنَى النفس، وليس كثرة المال والمتاع.

كما قال النَّبِي ﷺ: «**ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس**». متفق عليه.

**وفي شرح الحديث قال بعض أهل العلم:** "ليس حقيقة الغنى كثرة المال؛ لأن كثيرًا مِمَّن وسع الله عليه فِي المال لا يقنع بِما أوتي، فهو يجتهد فِي الازدياد، ولا يبالي من أين يأتيه، فكأنه فقير لشدة حرصه، وإنَّما حقيقة الغنى غنى النفس، وهو من استغنى بِما أوتي، وقنع به، ورضي، ولَم يحرص على الازدياد، ولا ألح فِي الطلب، فكأنه غني".

**وقال آخرون:** "إن الغنى النافع أو العظيم أو الممدوح هو غنى

النفس، وبيانه: أنه إذا استغنت نفسه كفت عن المطامع فعزت وعظمت، وحصل لَها من الحظوة والنَّزاهة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذي يناله من يكون فقير النفس؛ لحرصه، فإنه يورطه فِي رذائل الأمور وخسائس الأفعال؛ لدناءة همته وبُخله، ويكثر من يذمه من الناس، ويصغر قدره عندهم، فيكون أحقر من كل حقير، وأذل من كل ذليل".

**وقال ابن حجر:** "والحاصل أن المتصف بغنى النفس يكون قانعًا بِما رزقه الله، لا يحرص على الازدياد لغير حاجة، ولا يلح فِي الطلب، ولا يلحف فِي السؤال، بل يرضى بِما قسم الله له، فكأنه واجد أبدًا، والمتصف بفقر النفس على الضد منه؛ لكونه لا يقنع بِما أعطي، بل هو أبدًا فِي طلب الازدياد من أي وجه أمكنه، ثُمَّ إذا فاته المطلوب، حزن وأسف، فكأنه فقير من المال؛ لأنه لَم يستغن بِما أُعطي فكأنه ليس بغني، ثُمَّ غنى النفس إنَّما ينشأ عن الرضا بقضاء الله تعالى، والتسليم لأمره، علمًا بأن الذي عند الله خير وأبقى، فهو معرض عن الحرص والطلب.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:



**«اللهم ارزق آل مُحمَّد قوتًا»**. وقوتًا: أي ما يمسك رمقه.

وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: **«قد أفلح من أسلم، ورُزق كفافًا، وقنعه الله بِما آتاه»**.

سئل سعيد بن عبد العزيز: ما الكفاف من الرزق؟

قال: شبع يوم، وجوع يوم.

وعن المقدام بن معديكرب قال: سمعت رسول الله ﷺ: **«ما ملأ آدمي وعاء شرًّا من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث طعام، وثلث شراب، وثلث لنفسه»**.

وقال **مُحمَّد بن كعب القرظي**: "إذا أراد الله بعبد خيرًا جعل فيه ثلاث خصال: فقهًا فِي الدين، وزهادة فِي الدنيا، وبصيرة بعيوبه".

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

## مثل الدنيا

ضرب الله ﷻ للدنيا عدة أمثال فِي القرآن الكريم فِي أبلغ وصف وأدق تصوير فمن ذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس:٢٤].

ففي هذه الآية ضرب الله -تبارك وتعالى- مثلاً لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها بالنبات الذي أخرجه الله ﷻ من الأرض بماءٍ أنزل من السماء مِمَّا يأكل الناس من زروع وثمار على اختلاف أنواعها وأصنافها، وما تأكل الأنعام من أب وقضب، وغير ذلك: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ أي: زينتها الفانية. ﴿وَازَّيَّنَتْ﴾ أي: حسنت بِما خرج فِي رباها من زهور نضرة مختلفة الأشكال والألوان، ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا﴾. الذين زرعوها وغرسوها، ﴿أَنَّهُمْ

**قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾**. أي: جذاذها وحصادها فبينا هم كذلك إذ جاءتْها صاعقة، أو ريح شديدة باردة، فأيبست أوراقها، وأتلفت ثمارها، ولهذا قال تعالى: ﴿**أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا**﴾. أي: كأنَّها ما كانت حينًا قبل ذلك، ﴿**كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ**﴾. أي: نبين الحجج والأدلة، ﴿**لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾. فيعتبرون بهذا المثل في زوال الدنيا من أهلها سريعًا مع اغترارهم بها، وتمكنهم وثقتهم بمواعيدها، وتفلتها عنهم، فإن من طبعها الهرب ممَّن طلبها، والطلب لمن هرب منها، وكذلك ضرب النبي ﷺ مثلاً للدنيا في عدة أحاديث، منها قوله ﷺ: «**إن مطعم ابن آدم ضُرِب للدنيا مثلاً بما خرجَ من ابن آدم، وإن قزَّحه وملَّحه، فانظر ما يصير إليه**». رواه أحمد وابن حبان وغيرهما.

**قزحه**: أي: تَوْبَله، وهو من التابل، ومعناه تحسين الطعام.

**ملحه**: أي: وضع الملح بقدر الإصلاح.

**والمعنى**: أن هذه الدنيا خضرة حلوة، تميل النفس إليها، والجاهل بعاقبتها يتنافس في تحصيلها، غافلاً عن آخرته، ناسيًا أو مُتجاهلاً أن هذه الدنيا دنيئة فانية زائلة، مثلها مثل طعام ابن آدم الذي أحسن صُنعه، وكثرت ألوانه وأصنافه، وهو مع طيبه ونعومته قد استحال إلى الغائط والبول، وهكذا الدنيا.

## مثل الدنيـا فـي الآخــرة

إن ضرب الأمثال تقرب المعاني المرادة والمقصودة، ولذلك عُرف عن العرب استخدامهم للأمثال للدلالة على تجارِبهم فِي حياتِهم.

وكذلك الأشياء تُعرف حقائقها بأضدادها، فالليل لا يميز إلا بالنهار، والأبيض بالأسود، ولذلك قيل: وبالضد تتميز الأشياء.

وكذلك جاء فِي كتاب الله ﷻ مثل الدنيا فِي الآخرة، وذلك لبيان هوان أمرِ الدنيا، وتحقير شأنِها فِي جانب عظيم أمر الآخرة ورفع شأنِها.

فقال ﷻ : ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى﴾ [النساء: ٧٧]. فهذه الدنيا مهما رأيت فيها يا عبد الله من متاع فهو قليل زائل، والآخرة خير؛ لأن متاعها دائم مقيم.

وقال ﷻ : ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢].

وقد حقر الله ﷻ الدنيا بالنسبة إلى ما أعده الله ﷻ لعباده الصالحين فِي الآخرة فقال: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ﴾ [الرعد:٢٦].

فيا عباد الله لا تفرحوا بِهذه الدنيا، فما أعده الله ﷻ وادخره لعباده المؤمنين فِي الآخرة أعظم وأفضل من هذا اللهو واللعب، فلتكن الدنيا معبرًا لنا إلى الآخرة، والسعيد من وفق لذلك، فاللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا.

فلا تجعلوا همكم الدنيا، وتركنوا إليها، وهي فانية، وتُعرضوا عن الآخرة وهي باقية، ومن يفعل ذلك فإنَّما يضر نفسه، ولا يضر الله شيئًا، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى:٢٠].

فالأمر على حسب ما تقدم أيها العبد الفقير، إذا عملت للآخرة وأخلصت العمل لله ﷻ فلن تُظلم، بل سيزيدك المولى ﷻ الذي لا تنفد خزائنه، وإن عملت للدنيا وكان مسعاك من أجلها فلا تلومن إلا نفسك، خاصة بعد أن عرفت أن الدنيا لا تُساوي شيئًا بالنسبة

للآخرة، وقد قال ﷻ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاَهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ١٨-٢١].

هذا وقد قال الصادق المصدوق مُحمَّد ﷺ فيما رواه البخاري عن سهل بن سعد: «**موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها**».

أتقدر أخي المسلم موضع السوط، وتعرف قدره، إن هذا الموضع الضئيل من الجنة خير من الدنيا وما فيها.

وكذلك روى مسلم عن المستورد بن شداد قال: قال رسول الله ﷺ: «**والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم، فلينظر بمَ يرجع**».

**قال النووي -رحمه الله-**: معنى الحديث: ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قِصَر مدتها وفناء لذاتها، ودوام الآخرة ودوام لذاتها



ونعيمها، إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالإصبع إلى باقي البحر. اهـ.

**وبعد أن أورد أبو حامد الغزالي هذا الحديث فِي "الإحياء"**(١)

**قال:** اعلم أن أهل الدنيا مثلهم فِي غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة، فانتهت بِهم إلى جزيرة، فأمرهم الملاح بالخروج إلى قضاء الحاجة، وحذرهم المقام، وخوفهم مرور السفينة واستعجالها، فتفرقوا فِي نواحي الجزيرة، فقضى بعضهم حاجته، وبادر إلى السفينة، فصادف المكان خاليًا، فأخذ أوسع الأماكن وألينها وأوفقها لمراده.

وبعضهم توقف فِي الجزيرة ينظر إلى أنوارها وأزهارها العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات طيورها، وألحانِها الموزونة الغريبة، وصار يلحظ من بريتها أحجارها وجواهرها ومعادنَها المختلفة الألوان والأشكال الحسنة الْمنظر، العجيبة السالبة أعين الناظرين بحسن زبرجدها، وعجائب صورها، ثُمَّ تنبه لخطر فوات السفينة، فرجع إليها فلم يُصادف إلا مكانًا ضيقًا حرجًا، فاستقر فيه.

وبعضهم أكب على تلك الأصداف والأحجار، وأعجبه حسنها،

---

(١) الإحياء: (٣/٢٣١-٢٣٢).

ولَم تسمح نفسه بإهمالها، فاستصحب منها جملة، فلم يجد فِي السفينة إلا مكانًا ضيقًا وزاده ما حمله من الحجارة ضيقًا، وصار ثقيلاً عليه ووبالاً، فندم على أخذه، ولَم يقدر على رميه، ولَم يجد مكانًا لوضعه، فحمله فِي السفينة على عنقه، وهو متأسف على أخذه، وليس ينفعه التأسف.

وبعضهم تولج الغياض، ونسي المركب، وبَعُد فِي متفرجه ومتنَزهه منه، حَتَّى لَم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله بأكل تلك الثمار، واستشمام تلك الأنوار، والتفرج بين تلك الأشجار، وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع، وغير خال من السقطات والنكبات، ولا منفك عن شوك ينشب بثيابه، وغصن يجرح بدنه، وشوكة تدخل فِي رجله، وصوت هائل يفزع منه، وعوسج يخرق ثيابه، ويهتك عورته، ويمنعه عن الانصراف لو أراده، فلما بلغه نداء أهل السفينة انصرف مثقلاً بِما معه، ولَم يجد فِي المركب موضعًا، فبقي فِي الشط حَتَّى مات جوعًا.

وبعضهم لَم يبلغه النداء، وسارت السفينة، فمنهم من افترسته السباع، ومنهم من تاه، فهام على وجهه حَتَّى هلك، ومنهم من مات

فِي الأوحال، ومنهم من نَهشته الحيات، فتفرقوا كالجيف المنتنة.

وأما من وصل إلى المركب بثقل ما أخذه من الأزهار والأحجار فقد استرقته وشغله الحزن بحفظها، والخوف من فوتِها، وقد ضيقت عليه مكانه، فلم يلبث أن ذبلت تلك الأزهار، وكمدت تلك الألوان والأحجار، فظهر نتن رائحتها، فصارت مع كونِها مضيقة عليه مؤذية له بنتنها ووحشتها، فلم يجد حيلة إلا أن ألقاها فِي البحر، هربًا منها، وقد أثر فيه ما أكل منها، فلم ينته إلى الوطن إلا بعد أن ظهرت عليه الأسقام بتلك الروائح، فبلغ سقيمًا مدبرًا.

ومن رجع قريبًا ما فاته إلا سعة المحل، فتأذى بضيق المكان مدة، ولكن لما وصل إلى الوطن استراح.

ومن رجع أزلاً وجد المكان الأوسع، ووصل إلى الوطن سالمًا.

فهذا مثال أهل الدنيا فِي اشتغالهم بحظوظهم العاجلة، ونسيانِهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمورهم.

وما أقبح من يزعم أنه بصير عاقل أن تغره أحجار الأرض، وهي الذهب والفضة، وهشيم النبت، وهي زينة الدنيا، وشيء من

ذلك لا يصحبه عند الموت، بل يصير كلاً ووبالاً عليه، وهو فِي الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه، وهذه حال الخلق كلهم إلا من عصمه الله عَزَّوَجَلَّ . ا.هـ.

* * * * *



## هــوان الدنيــا علــى الله ﷻ

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [مُحمَّد:٣٦].

إن أكثر الناس خاصة أصحاب الجاه والمال قد عظموا الدنيا، وبالغوا فِي تعظيمها، وقد غرهم من الدنيا مظاهرها الخداعة، ومباهجها البراقة، وما عرفوا حقيقتها، ولو عرفوها لهانت عليهم، إذ الدنيا وما فيها من هذه المظاهر الَّتِي تسلب العقول، وتبهر العيون، وتملك القلوب، أهون على الله ﷻ من جناح بعوضة.

فانظر يا عبد الله، ويا أمة الله إلى جناح البعوضة، هل يُصان أم يُهان؟ إن العاقل منا -نحن البشر- يعرف هذا الهوان، ولكنها معرفة علمية فقط، أي أنه يعرف هذه الحقيقة، ولكن فِي حياته العملية نجده يحرص على هذه الدنيا أيُّما حرص، ويعظمها أيُّما تعظيم.

وما سميت الدنيا بِهذا الاسم إلا لدناءتِها وهوانِها وحقارتِها، وقد قال رب العزة ﷻ: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥].
وهذا تحقير لأمر الدنيا، وتصغير لشأنِها، وأنَّها دنيئة فانية زائلة.

وقد قال قتادة -رحمه الله-: "هي متاع متروكة، أوشكت والله الذي لا إله إلا هو أن تضمحل عن أهلها، فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم، ولا قوة إلا بالله".

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء:٧٧].

وقال الحسن -رحمه الله-: "رحم الله عبدًا صحبها على حسب ذلك، وما الدنيا كلها، أولها وآخرها، إلا كرجل نام نومة، فرأى في منامه بعض ما يحب، ثُمَّ انتبه!!.

وقد أنشد بعضهم:

**ولا خير في الدنيا لمن لَم يكن له ... من الله في دار المقام نصيب**
**فإن تُعجب الدنيا رجالاً فإنَّها ... متاع قليل والزوال قريب**

وكذلك قال تَعَالَى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الأنعام:٣٢].

وقال -جل وعلا-: ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [التوبة:٣٨].

وهكذا الدنيا أيها الأخ المسلم بكل ما تراه فيها من ذهب، وفضة، وقصور، وكنوز... وكل ما مضى منها، وكل ما سيأتي، هي

قليلة، قليلة، هينة، حقيرة.

وقد قيل: لما حضرت عبد العزيز بن مروان الوفاة قال: ائتوني بكفني الذي أكفن فيه، أنظر إليه، فلما وُضع بين يديه نظر إليه، فقال: أما لي من كبير، ما أخلف من الدنيا إلا هذا؟ ثُمَّ ولى ظهره، فبكى، وهو يقول: أف لك من دار، إن كان كثيرك لقليل، وإن كان قليلك لقصير، وإن كنا منك لفي غرور.

ومع هذا المتاع -متاع الدنيا- لابد أن نعرف أنه قليل، وأن مصيرنا إلى الله ﷻ، فيخبرنا بِما قدمناه من جَميع أعمالنا فإما أن نجد خيرًا، وإما أن نجد غير ذلك، فمن وجد الأولى فليحمد الله، ومن وجد الثانية فلا يلومن إلا نفسه، قال الله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُم مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [يونس:٢٣].

ويقول الله ﷻ تحقيرًا لأمر الدنيا، وتهوينًا لشأنها، وهي كذلك بحق إلا ما كان منها لله ﷻ، قال ﷻ: ﴿**إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلاَ يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ**﴾ [مُحمَّد:٣٦].

ومع حقارة هذه الدنيا وهوان أمرها، إلا أن أهلها قد عظموها، وتفاخروا فيها بأشياء زائلة فانية، فقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ﴾ [الحديد:٢٠]. هذا هو شأن الدنيا مع أهلها.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَّعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاَقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص:٦٠-٦١].

ففي هاتين الآيتين يخبر الله ﷻ عن حقارة الدنيا، وما فيها من الزينة الدنيئة، والزهرة الفانية، واللذة الزائلة، بالنسبة إلى ما أعده ﷻ إلى عباده الصالحين الذين آثروا ما عند الله من النعيم المقيم، ومع هذا هناك من يُقدم الدنيا على الآخرة، ولكن هؤلاء لا يعقلون.

فالحذار الحذار يا أخي المسلم أن تكون مِمَّن آثر الدنيا الفانية على الآخرة الباقية.

وكذلك هل مَنْ هو مؤمن مصدق بِما وعده الله على صالح

أعماله من الثواب العظيم، كمن هو كافر مكذب بلقاء الله ووعده ووعيده؟ لاشك أنّهما لا يستويان.

فالمؤمن المصدق سيجد ما وعده الله لا محالة فِي ذلك، وأما الكافر فيستمتع فِي هذه الدنيا الحقيرة الفانية، ثُمَّ يُرد إلى العذاب.

فهذه الدنيا غاية ما فيها هو اللهو واللعب، ولا دوام لَها، وإن دل ذلك على شيء فإنَّما يدل على حقارتها، وزوالها، وانقضائها، قال تعالى: ﴿**وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ**﴾ [العنكبوت:٦٤]. بعكس الآخرة فهي الباقية، وهي الحياة الدائمة، حيث لا زوال، ولا انقضاء، وهي نعيم حقيقي ودائم: ﴿**وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [العنكبوت:٦٤].

فلو علم الناس -كل الناس- حق العلم لآثروا الآخرة الدائمة على الدنيا الزائلة، لآثروا ما يبقى على ما يفنى.

هذه جملة من الآيات الكريْمة تدل على هوان الدنيا على الله ﷻ، وكذلك يوجد غيرها من الآيات الكثيرة، فالآيات فِي هذا الباب كثيرة متظاهرة، وفيما ذكرنا ما يكفي فِي بيان هوان هذه الدنيا على المولى ﷻ.

وأما عن الأحاديث النبوية الَّتِي جاءت عن النَّبِي ﷺ فِي بيان هوان الدنيا كثيرة، نذكر بعضًا منها:

روى الترمذي عن المستورد بن شداد قال: «كنت فِي الركب الذين وقفوا مع رسول مُحَمَّد ﷺ على السخلة الميتة [١].

فقال رسول الله ﷺ: **أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها؟**

قالوا: من هوانِها ألقوها.

قال رسول الله ﷺ: **فالدنيا أهون على الله من هذه على أهلها**».

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله: «أن رسول الله ﷺ مر بالسوق، داخلاً من بعض العالية[٢] والناس كنفته[٣]، فمر بجدي أسكّ[٤] ميت، فتناوله فأخذ بأذنه.

ثُمَّ قال: **أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟**

---

(١) **السخلة**: الذكر والأنثى من ولد الضأن والمعز ساعة يولد.

(٢) أي: القرى المحيطة بالمدينة.

(٣) أي: جانبه.

(٤) أي: صغير الأذنين، وهذا من العيب.

فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به؟

قال: **أتحبون أنه لكم؟**

قالوا: والله لو كان حيًّا كان هذا السكك به عيبًا، فكيف وهو ميت!.

فقال ﷺ: **فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم»**.

أرأيتم يا إخواني -وفقني الله وإياكم- مدى حقارة هذه الدنيا، وهوانِها على المولى ﷻ، فهي أهون على الله ﷻ من هوان جدي معيب ميت على أهله.

والله لَصورة الدنيا فِي هذا الحديث مقززة للنفوس السوية السليمة، بل وللنفوس غير السوية، إذ مهما اعوجت طبائع الإنسان، وانتكست فطرته، يأبى أن يُمسك جديًا ميتًا معيبًا فِي بيته، حرصًا عليه، وهكذا الدنيا.

وروى الترمذي عن سهل بن سعد قال: قال النَّبِي ﷺ: **«لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء»**.

فهل لجناح البعوضة قدر يا عباد الله؟! هل لجناح البعوضة قيمة

يا عباد الله؟! بل هل للبعوضة كلها قيمة يا عباد الله؟.

**الجواب:** لاشك أن البعوضة ليست لَها قيمة، ومع هذا فالدنيا لا تعدل جناح هذه البعوضة، لا كل البعوضة!! ولو كان لهذه الدنيا أدنى قدر لمنع الله ﷻ الكافر من شربة الماء من هذه الدنيا؛ لأن الكافر عدو لله ﷻ، والعدو لا يُعطى شيئًا مِمَّا له قدر عند المعطي، ولكن لما كانت هذه الدنيا بِهذه الحقارة، فقد أعطاها الله ﷻ لهؤلاء الكفار، وهأنتم ترون الكفار يتمتعون بِهذه الدنيا، ولكن ينبغي أن تذكروا دائمًا -يا إخواني- قول الله ﷻ: ﴿**ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾ [الحجر:٣].

ولهوان الدنيا وحقارتِها، فقد لعنها الرسول ﷺ فيما رواه الترمذي عن أبي هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، وعالم، أو متعلم**».

فهذه الدنيا كل ما فيها ملعون إلا ما كان فيها لله ﷻ من أفعال الخير، والبر، والطاعات، والعلم النافع الدال على الله ﷻ، وسبب هذا اللعن للدنيا لأنَّها غرت النفوس بزهرتِها، ولذتِها، وزينتها عن العبودية لله ﷻ إلى الهوى، نسأل الله السلامة لنا ولكم.



## التجافي عن الدنيا

قال الله ﷻ: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان:٣٣].

وقال ﷺ فيما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: «قام فينا رسول الله ﷺ يومًا بعد العصر، فصلى العصر يومئذ بنهار، فما ترك شيئًا إلى يوم القيامة إلا ذكره في مقامه ذلك، حفظ من حفظ، ونسي من نسي، ثُمَّ قال: **ألا إن هذه الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون، ألا فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء**».

**وقال علي بن أبي طالب** ﷺ: «ارتحلت الدنيا مُدبرة، وارتحلت الآخرة مُقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عملٌ ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل».

**وقال عبد الله بن مسعود**: «أنتم اليوم أكثر صلاة، وأشد عبادة

من أصحاب رسول الله ﷺ، وكانوا خيرًا منكم. قيل: لِم؟ قال: كانوا أزهد فِي الدنيا، وأرغب فِي الآخرة منكم».

وروى ابن ماجه عن سهل بن سعد قال: «جاء رجل إلى النَّبِي ﷺ فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله، وأحبني الناس.

قال: **ازهد فِي الدنيا يُحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس**».

وروى أحمد بسند رجاله ثقات -إلا أن فيه انقطاعًا- عن أبي موسى الأشعري قال: «من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى».

وروى أحمد عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تتخذوا الضَّيعة، فترغبوا فِي الدنيا**».

وروى الترمذي عن ابن مسعود: «أن رسول الله ﷺ نام على حصير، فقام وقد أثر فِي جسده.

فقال له ابن مسعود: يا رسول الله، لو أمرتنا أن نبسط لك

ونعمل.

فقال ﷺ: ما لي وللدنيا، وما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثُمَّ راح وتركها».

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

## طول الأمل والحرص

قال ﷻ: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر:٣].

وقال ﷻ: ﴿لاَ يَسْأَمُ الإِنْسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ [فصلت:٤٩].

**قال البغوي**: "أي: لا يفتر من طلب المال، وما يُصلح دنياه".

وقال ﷻ: ﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ [القيامة:٥].

**قال ابن عباس**: سوف أتوب، سوف أعمل، يعني: يُقدِّم الذنب ويؤخر التوبة.

وقال ﷻ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر:١-٢]. وقال ﷺ: «**لا يزال قلب الكبير شابًّا فِي اثنتين: فِي حب الدنيا، وطول الأمل**». متفق عليه.

وقال ﷺ: «**يكبر ابن آدم، ويكبر معه اثنتان: حب المال، وطول العمر**». متفق عليه.

وفي هذا الحديث كراهة الحرص على طول العمر، وكثرة المال، وأن ذلك ليس بمحمود.

والحكمة فِي التخصيص بِهذين الأمرين أن أحب الأشياء إلى ابن آدم نفسه، فهو راغب فِي بقائها، فأحب لذلك طول العمر، وأحب المال؛ لأنه من أعظم الأسباب فِي دوام الصحة الَّتِي ينشأ عنها غالبًا طول العمر، فكلما أحس بقرب نفاد ذلك اشتد حبه له، ورغبته فيه.

والإنسان أرغب فِي حب المال عن غيره، ولا يقنع بالقليل، بل دائمًا يطلب الزيادة، ولذلك جاء عن النَّبِي ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس قال: سمعت النَّبِي ﷺ يقول: «**لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**».

وروى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال: خط النَّبِي ﷺ خطًّا مربعًا، وخط خطًّا فِي الوسط خارجًا منه، وخط خططًا صغارًا إلى هذا الذي فِي الوسط من جانبه الذي فِي الوسط وقال:

«هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به -أو قد أحاط به- وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نَهشه هذا، وإن أخطأه هذا نَهشه هذا».

والمراد: أن الأجل أقرب للإنسان من الأمل.

**وقال علي بن أبي طالب** ﷺ: «إنَّما أخشى عليكم اثنتين: طول الأمل، واتباع الهوى؛ فإن طول الأمل يُنسي الآخرة، وإن اتباع الهوى يَصُد عن الحق».

**وقال عون:** «كم من مستقبل يومًا لا يستكمله، ومنتظر غدًا لا يبلغه، ولو تنظرون إلى الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغُروره».

❊ ❊ ❊ ❊ ❊



# قصر الأمل

قال ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

**قال سعيد بن جبير:** متاع الغرور: ما يُلهيك عن طلب الآخرة، وما لَم يلهيك فليس بمتاع الغرور، ولكنه متاع بلاغ إلى ما هو خير منه.

وقال ﷻ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر:٣].

**وقال الإمام علي بن أبي طالب:** «ارتحلت الدنيا مُدبرة، وارتحلت الآخرة مُقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عملٌ ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل».

وروى البخاري عن ابن عمر قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كن فِي الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**».

**وكان ابن عمر يقول:** «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك».

**قال النووي:** "معناه: لا تركن إلى الدنيا، ولا تتخذها وطنًا، ولا تُحدث نفسك بالبقاء فيها، ولا تتعلق منها بِما لا يتعلق به الغريب فِي غير وطنه". اهـ.

فتذكر يا عبد الله أنك مهما طالت بك الحياة فِي هذه الدنيا أنك مرتحل عنها إلى دار القرار، وأن مدة عيشك فِي هذه الدنيا قليلة، وقليلة جدًّا.

قال ﷺ: «**أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حَتَّى بلَّغه ستين سنة**». رواه البخاري.

ويقول ﷺ: «**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك**».

وفي رواية: «**أقل أمتي أبناء السبعين**».

وفي أخرى: «**أقل أمتي الذين يبلغون السبعين**».

واعلم يا عبد الله أن هذا العمر على قلته لا يصفو لك، فأنت فيه بين ضعفين كما قال ﷻ: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ**﴾ [الروم: ٥٤].

وحتى فترة القوة هذه على قلتها موزعة بين نوم وقضاء حوائج وغير ذلك، فالسعيد من وفق لاغتنام حياته فِي طاعة الله ﷻ، ولَم يُلهه الأمل عن الآخرة.

وسئل الإمام مالك: عن الزهد فِي الدنيا؟ قال: طيب الكسب وقصر الأمل.

وروى أحمد عن ابن عباس: «أن رسول الله ﷺ كان يخرج يهريق الماء، فيتيمم بالتراب، فأقول: يا رسول الله، إن الماء منك قريب. فيقول: **ما يدريني لعلي لا أبلغه**».

وروى أبو داود عن عبد الله بن عمرو قال: «مر بنا رسول الله ﷺ

وأنا وأمي نُطين[١] شيئًا.

فقال: **ما هذا يا عبد الله؟**

قلت: شيء نُصلحه.

قال ﷺ: **الأمر أسرع من ذلك**»!.

* * * * *

(١) أي: نصلح شيئًا بالطين كجدار وبيت ونحوه.



## كيف كان عيش النبي ﷺ وعيش أصحابه

روى البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب قال: «دخلت على رسول الله ﷺ فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه، متكئًا على وسادة من أدم، حشوها ليف، فرفعت بصري فِي بيته، فوالله ما رأيت فيه شيئًا يرد البصر غير أهبة ثلاثة.

فقلت: يا رسول الله، ادع الله فليوسع على أمتك، فإن فارسًا والروم قد وسع عليهم، وهم لا يعبدونِ الله!!.

فقال ﷺ: **أوَفِي هذا أنت يابن الخطاب؟! إن أولئك قوم عُجلوا طيباتُهم فِي الحياة الدنيا**».

وروى البخاري عن أنس ﷺ قال: «لَم يأكل النَّبِي ﷺ على خوان حَتَّى مات، وما أكل خبزًا مرققًا حَتَّى مات».

وفي ترك النَّبِي ﷺ الأكل على الخوان وأكل المرقق إنَّما هو

لدفع طيبات الدنيا، واختيارًا لطيبات الآخرة، وفي الحديث ما يدل على فضل القناعة، والكفاف، وعدم التبسط فِي ملاذ الدنيا.

وروى البخاري عن قتادة قال: «كنا نأتي أنس بن مالك، وخبازه قائم، وقال: كلوا، فما أعلم النَّبِي ﷺ رأى رغيفًا مرققًا حَتَّى لحق بالله، ولا رأى شاة سميطًا بعينه قط». والشاة السميط: هي المشوية.

وروى مسلم عن النعمان بن بشير قال: «ألستم فِي طعام وشراب ما شئتم؟ لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه».

وروى مسلم عن عائشة قالت: «ما شبع آل مُحمَّد ﷺ من خبز الشعير يومين متتابعين، حَتَّى قُبض رسول الله ﷺ».

وروى البخاري ومسلم عن عائشة قالت: «لقد كان يأتي علينا الشهر ما نُوقد فيه نارًا، وما هو إلا الماء والتمر، غير أن جزى الله نساء من الأنصار خيرًا كن ربما أهدين لنا شيئًا من اللبن». وفي لفظ: «إلا أن نُؤتى باللُّحيمة».

وروى البخاري عن أبي هريرة: «أنه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية فدعوه، فأبى أن يأكل، وقال: خرج رسول الله ﷺ من الدنيا، ولَم يشبع من الخبز الشعير».

وروى البخاري عن أنس: «أنه مشى إلى النَّبِي ﷺ بخبز شعير، وإهالة سَنِخة [(١)] ولقد رهن النَّبِي ﷺ درعًا له بالمدينة عند يهودي، وأخذ منه شعيرًا لأهله، ولقد سمعته يقول: ما أمسى عند آل مُحمَّد صاع بُر، ولا صاع حب، وإن عنده لتسع نسوة».

وروى البخاري عن أبي هريرة قال: «لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء، إما إزار وإما كساء، قد ربطوا فِي أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن تُرى عورته».

وروى البخاري عن مُحمَّد بن سيرين قال: «كنا عند أبي هريرة وعليه ثوبان ممشقان من كتان، فمخط فِي أحدهما فقال: بخ بخ،

---

(١) **الإهالة**: بكسر الهمزة وتخفيف الهاء: الشحم المذاب.
**وسنخة**: بفتح السين وكسر النون وفتح الخاء: المتغيرة الريح.

يتمخط أبو هريرة فِي الكتان! لقد رأيتني وإني لأخرّ فيما بين منبر رسول الله ﷺ وحجرة عائشة، مغشيًّا عليَّ، فيجيء الجائي، فيضع رجله على عنقي يرى أن بي جنونًا، وما بي جنون، وما هو إلا الجوع».

وروى البخاري عن عبد الرحمن بن عوف: «أنه أتي بطعام وكان صائمًا، فقال: قُتل مصعب بن عمير وهو خير مني، فكفن فِي بردة، إن غطي رأسه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه، وقتل حمزة وهو خير مني، ثُمَّ بسط لنا من الدنيا ما بسط، وقال: أُعطينا من الدنيا ما أعطينا، وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجلت لنا، ثُمَّ جعل يبكي حَتَّى ترك الطعام».

وروى مسلم عن خالد بن عمير قال: «خطبنا عتبة بن غزوان، فحمد الله، وأثنى عليه، ثُمَّ قال:

أما بعد: فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذَّاء، ولَم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء، يتصابُها صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لَها، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم، فإنه قد ذُكر لنا أن الحجر يُلقى من شفة جهنم، فيهوي فيها سبعين عامًا، لا يُدرك لَها قعرًا، ووالله لتملأن أفعجبتم؟ !.

ولقد ذُكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام.

ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ، ما لنا طعام إلا ورق الشجر، حَتَّى قرحت أشداقنا، فالتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك، فاتزرت بنصفها، واتَّزر سعد بنصفها، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميرًا على مصر من الأمصار، وإني أعوذ بالله أن أكون فِي نفسي عظيمًا، وعند الله صغيرًا، وإنَّها لَم تكن نبوة قط إلا تناسخت حَتَّى يكون آخر عاقبتها ملكًا، فستخبرون وتجربون الأمراء بعدنا».

وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة فِي شهرين، وما أوقدت فِي أبيات رسول الله ﷺ نار، إنَّما هما الأسودان: التمر، والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، كان لهم منائح[1] وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ

(١) **المنحة**: فِي الأصل هي الشاة أو الناقة، يعطيها صاحبها رجلاً يشرب لبنها، ثُمَّ يردها إذا انقطع اللبن، ثُمَّ كثر استعماله حَتَّى أطلق على كل عطاء.

من أبياتِهم، فيشرب ويسقينَا من ذلك اللبن».

وروى البخاري عن أبي هريرة أنه كان يقول: «اللهِ الذي لا إله إلا هو، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدتُ يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب اللهِ، ما سألته إلا ليُشبعني، فمر ولَم يفعل، ثُمَّ مر بِي عمر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمر فلم يفعل، ثُمَّ مر بي أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآني، وعرف ما فِي نفسي، وما فِي وجهي.

ثُمَّ قال: **يا أبا هر**.

قلت: لبيك رسول الله.

قال: **الْحقْ**. ومضى فتبعته، فدخل فاستأذن فأذن لي، فدخل فوجد لبنًا فِي قدح.

فقال: **من أين هذا اللبن؟** قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة.

قال: **أبا هر**.

قلت: لبيك يا رسول اللهِ.

قال: **الْحَقْ إلى أهل الصفة، فادعهم لي.**

قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال، ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بِها إليهم، ولَم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم، وأصاب منها، وأشركهم فيها، فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن فِي أهل الصفة؟ كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بِها، فإذا جاءوا أمرني، فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن؟ ولَم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بدٌّ، فأتيتهم، فدعوتُهم، فأقبلوا.

قال: **يا أبا هر.**

قلت: لبيك يا رسول الله.

قال: **خُذْ فأعطهم.**

فأخذت القدح، فجعلت أعطيه الرجل، فيشرب حَتَّى يروي، ثُمَّ يرد عليَّ القدح، فيشرب حَتَّى يروي، ثُمَّ يرد علي القدح، حَتَّى انتهيت إلى النَّبِي ﷺ وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إلي.فتبسم.

فقال: **أبا هر**.

قلت: لبيك يا رسول الله.

قال: **بقيت أنا وأنت**.

قلت: صدقت يا رسول الله.

قال: **اقعد فاشرب**. فقعدت، فشربتُ.

فقال: **اشرب**. فشربت، فما زال يقول: **اشرب**.

حَتَّى قلت: لا، والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكًا.

قال: **فأرني**. فأعطيته القدح، فحمد الله وسمى، وشرب الفضلة».

وروى ابن حبان عن عائشة أنَّها قالت: «اشتد وجع رسول الله ﷺ، وعنده سبعة دنانير، أو تسعة.

فقال: **يا عائشة، ما فعلت تلك الذهب؟**

فقلت: هي عندي.

قال: **تصدقي بِها**.

قالت: فشُغلتُ به.

ثُمَّ قال: **يا عائشة، ما فعلت تلك الذهب؟**

فقلت: هي عندي.

فقال: **ائتني بِها**.

قالت: فجئتُ بِها، فوضعها فِي كفه.

ثُمَّ قال: **ما ظن مُحمَّد أن لو لقي الله وهذه عنده؟ ما ظن مُحمَّد أن لو لقي الله وهذه عنده؟ ما ظن مُحمَّد أن لو لقي الله وهذه عنده؟**».

وروى ابن ماجه عن أنس قال: «اشتكى سلمان الفارسي، فعاده سعد، فرآه يبكي.

فقال له سعد: ما يبكيك يا أخي؟ أليس قد صحبت رسول الله ﷺ؟ أليس.. أليس؟

قال سلمان: ما أبكي واحدة من اثنتين، ما أبكي ضنًّا للدنيا، ولا كراهية للآخرة، ولكن رسول الله ﷺ عهد إليَّ عهدًا، فما أراني إلا قد تعديت.

قال: وما عهد إليك؟

قال: عهد إلي أنه **يكفي أحدكم مثل زاد الراكب**. ولا أراني إلا

قد تعديت، وأما أنت يا سعد، فاتق الله عند حُكمك إذا حكمت، وعند قسمك إذا قسمت، وعند همك إذا هممت.

قال ثابت: فبلغني أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهمًا من نفقة كانت عنده!!».



## أحساب أهل الدنيا مصير هذه الأحساب

إن لأهل الدنيا وأبنائها أحسابًا عجيبة، بعيدة عن أحساب أهل الآخرة، فقد روى الإمام أحمد عن بريدة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحساب أهل الدنيا الذي يذهبون إليه لهذا المال**».

والحديث خرج مخرج الذم؛ لأنه عبر عن هؤلاء بأنَّهم «**أهل الدنيا**» لأنَّهم قد شغفوا بِها، واطمأنوا إليها، فصارت أموالهم أحسابًا لهم، يفتخرون بِها، وأعرضوا عن الافتخار بنسب المتقين، والأصل أن الأحساب إنَّما هي بالأنساب، لا بالمال.

ولهذا جاء التوجيه النبوي ليعلم هؤلاء وغيرهم إلى أين تئول هذه الأموال، الَّتِي هي أحساب أهل الدنيا.

فروى مسلم عن عبد الله بن الشِّخير قال: «انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ: ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ**﴾ [التكاثر: ١]. قال: **يقول ابن آدم: مالي مالي، وإنَّما لك من مالك ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت**».

## ماذا بقي من الدنيا

فِي هذا يقول ﷺ فيما روى أحمد عن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَم يبق من الدنيا إلا بلاءٌ وفتنةٌ».

**تم والحمد لله**

* * * * *

# الفِهرِس










# فهرس الموضوعات

مقدمة........................................................ ٥

من يريد الدنيا بعمله .......................................... ٨

الدنيا سجن المؤمن............................................ ١٣

انظر إلى من هو أسفل منك.................................... ١٥

ما يتقى من فتنة المال.......................................... ١٧

فضل الفقر والفقراء............................................ ٢٦

الغنى غنى النفس أو القناعة من الدنيا بالقليل..................... ٣١

مثل الدنيا .................................................... ٣٤

مثل الدنيا في الآخرة ........................................... ٣٦

هوان الدنيا على الله عز وجل .................................... ٤٣

التجافي عن الدنيا .............................................. ٥١

طول الأمل والحرص ........................................ ٥٣
قصر الأمل ................................................ ٥٦
كيف كان عيش النَّبِي ﷺ وعيش أصحابه ........................ ٦٠
أحساب أهل الدنيا مصير هذه الأحساب ......................... ٧٠
ماذا بقي من الدنيا ......................................... ٧١
الفهرس .................................................. ٧٧




تأليف
فضيلة الشيخ الدكتور
عبد السلام بن برجس العبد الكريم






تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

محمد أمان بن علي الجامي

عميد كلية الحديث الشريف ورئيس شعبة العقيدة بالدراسات العليا

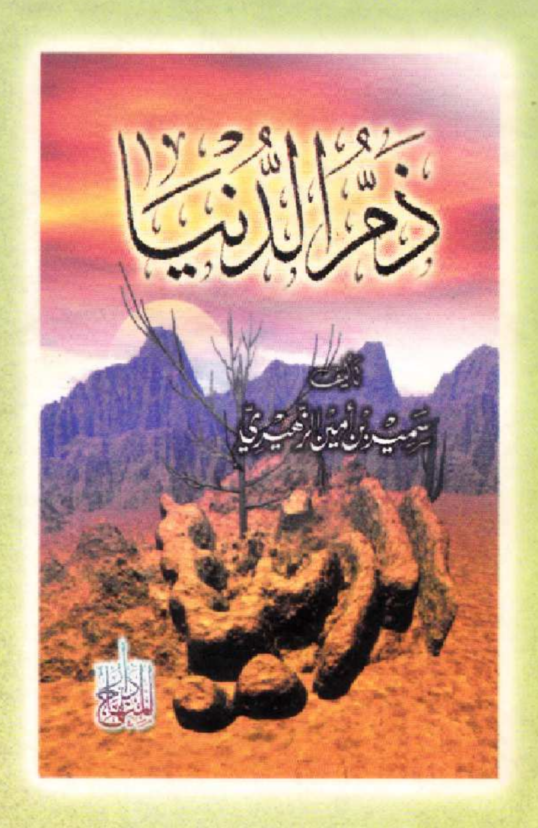
بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً







رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


ذم الدنيا
تأليف
سمير بن أمين الزهيري